

## الغفلة والغافلين



إحدى الأمراض الروحية التي يتعرض لها الإنسان في حياته هي الغفلة عن الله تبارك وتعالى وهي من الأمراض الخطيرة التي تهلك الإنسان في دنياه وآخرته، وبغض النظر عن إنها (الغفلة) من الموبقات فهي من المهلكات ومن كبائر الذنوب أيضاً... وبما إنّ طبيعة الحياة الدنيا هي مادية في الغالب وصراع الحياة والموت الدائر فيها وحب الإنسان للبقاء وحبه للدنيا والشهوات والأموال والبنيان التي هي زينة الحياة الدنيا، فإنّ جميعها من موجبات الغفلة، وإن - تعالى - يقول في محكم كتابه العزيز: (أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) (التكاثر/ 1-2)، فالإنسان بطبيعته يميل إلى ما أسلفنا ويكثر منها ويكثر، ولا تملأ عينيه الجائعتين المتعطشتين غير حفنة التراب. وللغفلة درجات ودرجات فهناك من لا تنفعه نصيحة ولا عبرة ولا دواء لعلته إلا الموت.... وعندما يموت يأتيه الخطاب الإلهي: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَثَرَ فِي عَذَابٍ غَرَطَاءَكَ فَبَدَأَ صَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدُ) (ق/ 22)، فالغفلة التي أصابت سمعه وبصره طبعت على قلبه غشاوة غليظة ما استطاع شيء في الوجود على كثره أن يجلوها عنه فلا النصيحة ولا الإرشاد ولا العبر ولا القصص ولا الآيات ولا الأحاديث ولا... ولا... لا ولم تؤثر عليه لأنّه أغفل قلبه وأوصد سمعه وأغمض عينيه عن جميعها... فالنتيجة أن يبقى سارحاً ساحراً في بحر مظلم من الجهل والعناد، وقد قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...) (الفرقان/ 43). ومن طبيعة الإنسان الغير مؤمن عندما يكون في خير ونعمه وعافية ينسى الله سبحانه

وتعالى، ويتصور بأزنه مستغن عن الصلاة والدعاء ولكن عندما تصيبه أدنى مصيبة يتذكر أفعاله وأعماله وأقواله الطالحة، فيلجأ على الفور بالاستغفار والدعاء وآله سبحانه وتعالى يصف هذه الحالة بقوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِبْرَاهِيمًا فَلَمَّا رَأَجَّاكُمْ إِلَيَّ الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ إِلَزْسَانٌ كَفُورًا) (الإسراء / 67). ونشاهد هذه الحالة أيضاً بكثرة في المجتمع الحديث ولكن بصورة أخرى، مثلاً عندما يستقل الناس الطائرة: فعند الإقلاع الهبوط ترى الجميع في حالة من الخضوع والخضوع والرهبة، والتوجه إلى الله - سبحانه وتعالى - وعندما تنتهي الرحلة بسلام ويقول البعض الحمد لله تراهم يعودون إلى ما كانوا عليه لأن شيئاً لم يكن... الله - تعالى - يقول: (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) (يونس / 92)؛ فقط: عندما يصل الإنسان في حياته إلى مشاكل معقدة وحرجة للغاية يبدأ بالبحث عن ملخص ومنجي ولا يجد غير وجه الله الكريم وإن فحياته كلها غفلة في غفلة... صادف أن زرت إحدى العوائل الميسورة هنا في كندا وأصا بتني الدهشة عندما وجدتهم في سبات عميق بعيدين عن الخالق عزوجل حيث لا صلاة ولا دعاء ولا يعون شيئاً من الإسلام ولا السيرة وكأنهم لم يسمعوا شيئاً عن الدين في حياتهم... وعندما طلبت منهم إحضار القرآن فوجئت بأزنه لا يوجد لديهم قرآن، وبما أن زيارتي لهم كانت من أجل حل مشكلة اعترضتهم، انتهت الفرصة في نصحهم وإرشادهم، وقلت بأن الله - سبحانه وتعالى - عندما يحب عبداً يتسليه ليعود إليه، وأنتم فإن الله ابتلاكم لتنتبهوا وتستيقظوا من سباتكم وغفلتكم عنه - سبحانه وتعالى -. يقول الله - تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد / 11)، فلابد أن تبدعوا بالصلاه وتحاولوا أن تقرءوا بعض الأدعية وتقروا القرآن لتكون حياتكم سعيدة مع الله ولا سعادة من دونه... فهل توجد غفلة أكثر من هذا... مسلمون خلا بيتهם من القرآن وإن وجد فهو للحفظ والزينة لا للتعلم والتدبر والقراءة، ولا صلاة يؤدونها وإن أديت فهي لإسقاط الواجب لا أكثر، وقد صدق سبحانه وتعالى حين قال: (يَعْلَمُونَ طَاهِرًا مِنَ الْجَنَّاتِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (الروم / 7). وقد وصف سبحانه وتعالى الإنسان في سورة العصر وأقسام بالعصر - وهو عصر النبي (ص) وعصر ظهور الإسلام على المجتمع البشري وظهور الحق على الباطل كما ورد في تفسير الميزان حيث قال عز من قائل: (وَالْعَصْرُ \* إِنَّ إِلَزْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَالَّذِينَ آمَدُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصََّبَرِ) (سورة العصر)، والمراد بالإنسان هو جنس الإنسان أي إن كل إنسان يسير ويتجه نحو الخسر، والخسر هو الذي تفسره الآية الكريمة (... قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَزْفُسَهُمْ وَأَهْلَيْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ

الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (الزمر/ 15). ثم يُستثنى سبحانه المؤمنون من هذه الخسارة وهم الذين آمنوا بهاليوم الآخر والذين تكون أعمالهم ترجمان لإيمانهم، إضافة لذلك فهم يتواصون بالحق وباتباعه ويتوافقون بالصبر على البلاء والمصائب وقضاء الله وقدره. إذن أهم أسباب الغفلة هي اتباع الهوى وحب الدنيا والشهوات وكذلك الذين يحبون الشهرة والجاه والمنصب، فهم يزورون الحقائق ويكتمون الحق ويرفعوا إنساناً وبضعوا آخرًا وهكذا من الأمور التي تأتي نتيجة للهوى. وقد قال عز من قائل: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الْمُذْيَنَ  
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيْرَ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعُدُّ  
عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ مَنْ  
أَغْفَلَنَّا قَاتِلَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَاعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف/ 28). فالافتراض عدم إطاعة من يتخد هواه سبيلاً يسلكه، لأنّه سوف لن يتحقق إلا الضياع والحسنة والنداة ولأنّ الهوى مخالف للإيمان دائمًا وأبداً. ليس فقط عدم الإيمان بما سبحانه وتعالى من مصاديق الغفلة، فقد نجد من يؤمن بما تعالى ولكنه كافر بما جاء به رسوله محمد (ص) من ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) رغم ثبوته لديه بالدليل القاطع والبرهان الساطع والعقل والنقل، وهكذا في باقي الأمور التي يختصها وتكون الحجة عليه لا له، فيحاول أن يغفل عنها أو يتغافل ويبقى على باطله ويهيم ويُسرح، وإن سبحانه وتعالى - يقول: (وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَاهَنَمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ  
وَالإِنْسَنَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا  
وَلَهُمْ أَذْانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ  
أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف/ 179). وعلاج الغفلة إنما يكون بالإيمان بما عزّ وجلّ رسوله وكل ما جاء به محمد (ص) وولاية أمير المؤمنين علي بين أبي طالب - عليهم السلام - والإعراض عن التمسك بالدنيا الفانية وترك الشهوات وأن يكثر الإنسان من ذكر هادم اللذات وهو الموت، فعن حبيب الله محمد بن عبد الله (ص) إنّه قال: "أكثروا من ذكر هادم اللذات، فقالوا: ما هادم اللذات يا رسول الله، فقال: ذكر الموت. وكذلك المداومة على ذكر الله عزّ وجلّ" فعن علي أمير المؤمنين (ع) قال: "بدوام ذكر الله تنجيب الغفلة". وعن رسول الله (ص): "يا أبا ذر هم بالحسنة وإن لم تعملها لكي لا تكتب من الغافلين"، وعن أمير المؤمنين (ع): "استعينوا على بعد المسافة بطول المخافة، فكم من غافل وثق لغفلته وتعلل بمهلته فأمل بعيداً وبني مشيداً، فنقصر بقرب أجله بعد أمله، فاجأته منيته بانقطاع عنه". وكذلك بمحاسبة النفس فعن علي (ع): "من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر"، وعن عيسى (ع): "أو لستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى، فميت يبكي وآخر يعزى، وصريح مبتلى، وعائد يعود، آخر بنفسه يوجد، وطالب الدنيا والموت يطلبها، وغافل وليس

بمفقول عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي لباقي".

اللَّهُمَّ اجعل عواقب أُمُورِنَا خيراً واجعل ألسنتنا بذكرك لهجة وقلوبنا بك متيمة ولا تكتبنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين.

\*مونتريال - كندا

المصدر: مجلة الإيمان/ السنة السابعة - العدد الحادي والثلاثون لسنة 1419هـ